Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 10, 2026, 10831

Deanship of Scientific Research

The State and Lingual/ Linguistic Conflict in Jordan: From Oral to Written Patterns / Types

Rabi Mahmoud Rabi*

Department of Arabic Language, Jerash University, Jordan

Received: 18/2/2025
Revised: 10/3/2025
Accepted: 15/5/2025
Published online: 23/7/2026

* *Corresponding author:*
rabi.rabi@jpu.edu.jo

Citation: Rabie, R. M. (2026). The State and Lingual/ Linguistic Conflict in Jordan: From Oral to Written Patterns / Types. *Dirasat: Human and Social Sciences*, 53(10), 10831.
https://doi.org/10.35516/Hum.2026.10831

Abstract

Objectives: This research aims to clarify the historical role that the presence of the state played in changing the dominant linguistic patterns used and adopted in interpersonal communication and in the management of various aspects of life in Jordan. The people of Jordan (formerly Eastern Jordan) used to rely exclusively on spoken colloquial dialects in all life situations, from the simplest to the most formal.

Method: The research employs a comparative analytical approach, drawing on tools from sociolinguistics in the field of discourse analysis. It compares traditional linguistic patterns (such as folk poetry, proverbs, maxims, tribal codes) with the new patterns that replaced them (such as formal poetry, newspapers and magazines, laws and regulations) in order to highlight the linguistic impact of the state's presence in the lives of the people in Jordan.

Results: The presence of the state (starting in the late Ottoman era and continuing with the Jordanian state) led to the dismantling of traditional linguistic patterns by stripping them of their importance and official status, and by imposing new linguistic forms, namely Standard Arabic and the institution of writing.

Conclusion: The research highlights the nature of the conflict between oral forms that represented the people of Eastern Jordan and their customs and traditions, and the institution of writing, which represented the new state and authority. It shows how the communicative forms produced by the institution of writing gradually imposed their dominance in the daily and official presence of the people, eventually leading to the decline of oral forms in official contexts.

Keywords: Jordan , Patterns , Writing , Oral , Lingual Conflict.

الدّولة والصّراع اللغويّ في الأردن: من الأنماط الشفوية إلى الأنماط الكتابية

ربيع محمود ربيع*

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جرش الأهلية، جرش، الأردن

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى توضيح الدّور التّاريخي الذي لعبه حضور الدّولة في تغيير الأنماط اللّغوية السّائدة والمعتمدة في تعاملات النّاس في الأردن وتواصلهم بعضهم مع بعضهم وفي إدارة حياتهم بمختلف شؤونها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة. فأهالي الأردن (شرقي الأردن سابقاً) كانوا يستعملون اللّهجات العاميّة بشكلها الشفويّ في جميع مواقف الحياة ابتداءً من المواقف البسيطة إلى أشد المواقف رسمية.

المنهجية: اعتمد البحث على المنهج التحليليّ المقارِن وعلى ما تُتيحه اللّسانيات الاجتماعيّة في مجال تحليل الخطاب، وذلك في إطار المقابلة بين الأنماط اللغوية القديمة (شعر شعبي، أمثال، حكم، قواعد عشائرية) والأنماط الجديدة التي حلّت مكانها (شعر فصيح، صحف ومجلات، قوانين وأنظمة) في سبيل توضيح الأثر اللّغويّ الذي تركه حضور الدّولة في حياة الأهالي في الأردن.

النّتائج: إنّ حضور الدّولة (أواخر العهد العثمانيّ ومن ثمّ الدّولة الأردنيّة) أدّى إلى تحطيم الأنماط اللّغويّة القديمة من خلال نزع صفة الأهميّة والرسميّة عنها، ومن خلال فرض أنماط لغويّة جديدة تمثّلت في اللّغة العربية الفصيحة ومؤسّسة الكتابة.

الخُلاصة: لقد أبرز البحث طبيعة الصّراع الذي وقعَ بين الأشكال الشّفويّة التي تمثّل أهالي شرقي الأردن وأعرافهم وتقاليدهم، وبين مؤسّسة الكتابة التي تمثّل الدّولة والسّلطة الجديدتين، وكيف أخذت الأنماط التواصلية التي أنتجتها مؤسّسة الكتابة تفرض سيطرتها في الحضور اليوميّ والرسميّ عند الأهالي، وقضت بشكل تدريجيّ على حضور الأشكال الشّفويّة على المستوى الرسميّ.

الكلمات الدّالة: الأردن ،أنماط ،كتابة ، شفويّة ،صراع لُغويّ

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن أشكال الارتباط بين تأسيس الدّولة الحديثة وحضور مؤسّسة الكتابة فيها، وذلك من خلال اتّخاذ حالة الدولة الأردنيّة نموذجاً؛ فالأنماط الشفويّة (الشّعر الشّعبيّ والأمثال والرّسائل الكلاميّة المكثّفة والمحمّلة بالدّلالات) كانت هي الشّكل السّائد والمعترف به في أغلب أنماط التّواصل الحاصل بين العشائر والقبائل والحواضر الأردنيّة في الفترة العثمانيّة. وفي المقابل كان حضور اللّغة العربيّة الفصيحة (لغة الكتابة) حضوراً ضعيفاً في تلك الفترة، فقد شكّل الأهالي على اختلاف لهجاتهم لهجة عاميّة مشتركة (فلّاحية - بدوية) هي عماد اللّهجة الأردنية الحاليّة، وهذه اللّهجة المشتركة هي عماد التّواصل والتخاطب في حالات الحرب والسلم وعقد التحالفات، وهي مادة الإعلام (الشّعر الشّعبيّ)، وكانت اللّهجات الخاصة هي لغة التّواصل في جميع المناسبات من خطبة وزواج وصلح ... إلخ، وهي لغة القضاء العشائريّ الذي يستمد شرعيّته من الأعراف والتقاليد.

ولكن حينما قويَ حضور الدّولة الحديثة (أو شبه الحديثة) في حياة الأردنيين، بدأ حضور العربيّة الفصيحة -لغة الكتابة- يأخذ مكانة أوسع تدريجياً في كافة أشكال التّواصل والتّخاطب منذ أواخر العهد العثمانيّ وحتى قيام الدّولة الأردنيّة وتثبيت جذورها في القرن العشرين. وأدّت السّياسات اللّغويّة الجديدة – على رأسها مؤسّسة الكتابة- دوراً كبيراً في تثبيت سلطة الدّولة الحديثة عبر توثيق العقود والملكيات وإنشاء السّجلات المدنيّة من ناحية، وعبر قيام مؤسّسة الكتابة بإعادة تخيّل ناظمة للمكان وأهله ضمن سرديّة الدّولة النّاشئة، وذلك من خلال تعزيز دور المدارس والصّحافة والإذاعة، ومن خلال كتابة تاريخ منفصل للمنطقة.

ولقد أدّى هذا الأمر حسب فرضيّة البحث إلى حدوث صراع قوي بين الأشكال الشّفوية التي تمثّل الأهالي والأعراف والتّقاليد، وبين مؤسّسة الكتابة التي تمثّل الدّولة والسّلطة الجديدتين، وبدأت الأنماط التّواصلية التي أنتجتها مؤسّسة الكتابة تفرض سيطرتها في الحضور اليومي والرسمي عند الأهالي، وبدأ يُقضى بشكل تدريجي على حضور الأشكال الشّفويّة على المستوى الرسميّ. ويهدف البحث إلى استعراض أشكال هذا الصّراع ونتائجه التي أفضى إليها. وذلك بالاعتماد على المنهج التحليليّ المقارِن وعلى ما تُتيحه اللّسانيات الاجتماعيّة في مجال تحليل الخطاب، وذلك في إطار دراسة الأنماط اللغوية القديمة (شعر شعبي، أمثال، حكم، قواعد عشائرية) وتوضيح الأثر اللّغويّ الذي تركه حضور الدّولة في حياة الأهالي في الأردن.

ينقسم البحث إلى مقدِّمة وتمهيد وثلاثة محاور وخاتمة: يستعرض التمهيد الإطار النّظريّ والمعرفي الذي ينتمي إليه هذا البحث ويستهدي به في التّطبيق، ويُناقش المحور الأوّل الأنماط اللّغوية الشفوية التي كانت سائدة في الأردن (شرقي الأردن سابقاً) ودور هذه الأنماط في حياة النّاس والمواقف التي يتعرضون لها. بينما يستعرض المحور الثّاني التغيّرات اللّغويّة التي رافقت حضور الدّولة وأدّت إلى التحوّل إلى الكتابة واستخدام اللّغة العربيّة الفصيحة، في حين جاء المحور الثّالث لمناقشة الصّراع اللّغوي وأشكاله وتمثّلاته بين الأنماط اللّغويّة القديمة والجديدة. وفي الخاتمة استعرضنا أبرز النتائج التي توصّلنا إليها.

تمهيد نظريّ

يندرج هذا البحث في باب اللّسانيات الاجتماعيّة، أي أننا لن نسعى إلى دراسة مضمون اللّغة بقدر سعينا إلى دراسة المعنى الاجتماعي لاستخدامات هذه اللّغة وللإيديولوجيا المتضمنة بها وللسلطة التي تخدمها؛ "فاللغة أذواق من استخداماتها السابقة؛ إذ يضعنا مستمعونا أمام الستارة الخلفية المرتبطة بكل خبرتهم السابقة باللغة. فنحن لا نستطيع أن نتحدث دون أن نهب أنفسنا اجتماعيا وعرقيا وجغرافيا، كما أن فهرسة المعاني الاجتماعية متجذرة في اللغة واستخدامها"(بيل 2019: 25). فاللّسانيات الاجتماعية هي المعنيّة بدراسة التنوّع الحاصل داخل اللّغة، ودراسة موضوع الاختلافات بين الكلام والكتابة والاختلافات بين الطبقات الاجتماعيّة في خصائص النّطق(إتش 2016: 231). فالبحث يتحرّك في المنطقة المشتركة بين اللّسانيات وعلم الاجتماع في سبيل دراسة أثر تغيّر السلطة والإيديولوجيا في اللّغة وصناعة الأنماط اللّغوية السائدة الشفوية أو الكتابيّة.

وينبغي لنا أولاً أن نعرّف النمط اللغوي، فالنمط هنا يشير إلى "كيفية استخدامنا للّغة بطريقة تفاعلية، أو استباقية، ضمن شروط محددة، ولأهداف محددة. وهذا يتطلّب من المستخدم الإلمام بالموارد اللغوية المتاحة، وكذلك الموارد المقبولة اجتماعياً، من الناحيتين، اللّغويّة، والعمليّة، في منظومة تشكيل وتفسير النصوص والتفاعل التواصلي. فالنمط إذن، هو نتيجة الخيار من مجموعة الوسائط اللغوية المناسبة، لنقل رسالة معينة بشكل مؤثر" (هيرناندیز –كامبوي 2018: 12). فمفهوم النمط اللّغوي ينطلق من أنّه يمكننا التعبير عن نفسِ المحتوى بأكثر من صيغة لغويّة، والإنسان -على المستوى الفردي- يُبدّل النّمط اعتماداً على التأثير المطلوب على المخاطَبين وبالنظر إلى قدرته على نقل المعاني الاجتماعيّة (هيرناندیز –كامبوي 2018: 12-13).

وهذه الأنماط اللغوية تستجيب للمؤثرات الاجتماعية والإيديولوجية كي تصنع أنماطاً جمعية يحتذيها الجميع في ممارسة المخاطبة على المستوى الجمعيّ داخل المجتمع، وهي الأنماط التي سنفصّلها في المحور الأوّل ونشرح ظروف تشكّلها. فاللّغة وأنماطها "تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، ثم تصبح عاملا من أقوى العوامل، التي تربط أفراد المجتمع الإنساني، ويرى علماء الاجتماع أن الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة آمرة، تفرض بها على أفراد المجتمع، ألوانًا من السلوك والتفكير والعواطف، وتحتم عليهم أن يصبوا سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم، في قوالب محددة مرسومة – على حد

تعبيرهم"(عبد التوّاب 1997: 127). وهذه القوة القاهرة الآمرة قد تتغيّر بتغيّر الظروف الاجتماعيّة والسياسيّة المحيطة، وهذا التغيّر ينسحب على الأنماط اللغوية المستخدمة على المستوى الجمعيّ، فاللغة تكتسب صفة المجتمع الذي تعيش به وتتأثر به أيضاً، مثلما هي ستؤثّر به، فهي بدوية في المجتمع البدوي وحضرية في المجتمع الحضري"(عبد التوّاب 1997: 129). فالتغيّر الاجتماعي والسياسي في مجتمع يتبعه تغيّر في اللغة والأنماط اللغوية المستعملة حكما(عبد التوّاب 1997: 131).

المحور الأوّل: الأنماط اللغوية التقليدية وتشكّلها

قبل الحديث عن الصّراع اللّغوي في الأردن بين الدّولة الأردنيّة النّاشئة في عام 1921م وبين القوى والأنماط السّائدة قبل مجيء الدّولة، ينبغي لنا التّعريج على مراحل مهمّة من التّاريخ الأردنيّ، لرسم صورة حياة الأردنيين في منطقة شرقي الأردن وكيف استطاعوا أن يخلقوا أنظمتهم اللّغويّة والمعرفيّة. وذلك لمقارنتها مع الأنظمة اللّغوية والمعرفية التي فرضتها الدّولة النّاشئة.

لقد شهدت منطقة شرقي الأردن انتعاشاً اقتصادياً وسياسياً في العهد المملوكي تجلّى عبر إنشاء المدارس والمكتبات، وعبر الدّور الذي لعبته المنطقة في تلك الفترة. وهو أمر نستدل عليه من أمور عدة، منها كثرة الفقهاء والعلماء المنتسبين إلى قرى شرقي الأردن وبلداته[1]، وأيضاً سعي السّلطان المملوكي النّاصر أحمد إلى نقل عاصمته إلى الكرك (غوانمة 2015: 221- 224). غير أنّ عدّة أسباب وعوامل أدّت إلى إهمال هذه المنطقة؛ منها تضعضع الدّولة المملوكية في نهايات القرن الخامس عشر وضعفها، إضافة إلى الزّلازل التي ضربت المنطقة مثل الزّلزال الذي أخرج بلدة مثل عمّان من التاريخ حتّى النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر (الموسى 2010: 54)، بعد أن كانت منطقة مأهولة وحيوية.

ثم جاءت الدّولة العثمانيّة وحاولت فرض الأمن في هذه المنطقة وإبقاء الوضع على ما هو عليه ضمن أقل التّكاليف، ولقد نجحت في ذلك مدة قصيرة. لكنها سرعان ما تخلّت عن دورها مطلع القرن السّابع عشر وانسحبت بعدما أصبحت تكلفة فرض الأمن أقل من الدَّخل الذي يأتي من هذه البلاد الفقيرة (عبيدات 2021: 5). وأصبح حضور الدّولة شكلياً ومقتصراً على جمع الضّرائب وإقامة معسكرات في القلاع والحصون الواقعة على طريق الحج الشّاميّ بهدف تأمين طريق الحج وفرض هيبة الدّولة بين الفينة والأخرى (خريسات 2019: 204). كما أنها كانت تدفع الأموال (الصرة) للقبائل البدوية في المنطقة لحماية قافلة الحج وضمان عدم اعتدائها على الحجّاج (الماضي والموسى 1988: 3).

فأصبحت المنطقة ملاذاً آمناً للبدو الرّحل ولممارسة الغزو، فلجأ الأهالي من فلّاحين وبدو مستقرين إلى حماية أنفسهم عبر عقد التحالفات العشائريّة والقبائليّة، وأصبحت القوّة والعادات والتّقاليد هي المرجع والشّريعة في تعاملات النّاس(الماضي والموسى 1988: 3-4). وضعف حضور الدّولة قابله ضعف حضور التّعليم؛ فالدّولة هي التي تفتح المدارس وترعاها، والدّولة العثمانيّة لم تؤدِّ واجبها هذا -إلّا في أواخر عهدها كما سنوضّح فيما بعد- إلى جانب كثير من واجبات الدّولة التي تقاعست عن أدائها من جهة، كما أنّ رغبة النّاس في التّعليم نابعة من رغبتهم في الحصول على الوظائف والمناصب في الدولة، وبما أنّ الدولة غائبة فلا حاجة بهم إلى التّعليم في مراحله المتقدِّمة من جهة أخرى.

وعوضاً عن التّدوين لجأ الأهالي إلى صياغة عاداتهم وتقاليدهم -إضافةً إلى خبراتهم في الحياة وقصصهم وتجاربهم- في صيغ بلاغية تعتمد على السّجع والمحسّنات البديعية والتّكثيف والاختزال بعبارات قريبة من النّفس كي يسهل حفظها (أبو حسّان 2009: 68)، فقالوا الشّعر والأمثال والحكم والقواعد العشائريّة وحفظوها وتناقلوها جيلاً بعدَ جيل، وأصبح تمثّل هذه العادات والتّقاليد علامة الرجولة والأخلاق الحسنة. فجاءت معارف الأهالي وآدابهم باللّهجات العاميّة بعيداً عن اللّغة العربيّة الفصيحة.

أمّا الأشخاص الذين كانوا يكملون تعليمهم في المراكز (دمشق أو القاهرة أو القدس...إلخ)، فإنهم غالباً ما يهاجرون إلى المدن الرّئيسة في بلاد الشّام التي كانت تؤمّن لهم وظائف، فكثيراً ما نقرأ أسماء علماء وفقهاء مشهورين من العهد العثماني عاشوا في دمشق أو غيرها ينتسبون إلى قرى الأردن وبلداتها. وإذا عادَ إلى موطنه فإنّه سيخضع للمنظومة اللّغوية السّائدة؛ فهذا الفارس والشاعر البدوي نمر العدوان تعلّم في مدارس القدس والأزهر، لكنه حينما عاد إلى مضارب قبيلته لم يستخدم العربيّة الفصيحة في شعره، بل انطلق لسانه بقول الشِّعر البدويّ، وإن كان أثر التّعليم قد ظهر في شعره (العزيزي 1997: 232).

وقد اقتصر استخدام اللّغة العربيّة الفصيحة على معلمي الكتاتيب والخطباء والرّهبان المتواجدين في قرى شرقي الأردن وبلداته، وإن كان هؤلاء يحظون بتقدير الأهالي فإنَّ كلمتهم غير مسموعة وتقديرهم واحترامهم نابعان من نظرة الأهالي إليهم بوصفهم من الدراويش والأولياء الذين يجدر الإحسان إليهم والعطف عليهم. أمّا على الصعيد القياديّ العشائريّ فلم يكن لهم دورٌ يُذكر.

وبما أنّ المنطقة انقسمت إلى عدة مناطق شبه مستقلّة يحكم كلّاً منها زعيمٌ أو شيخُ قبيلة، أصبحت كلُّ منطقة بحاجة إلى جهاز إعلامي يُعبّر عنها وينطق بلسانها، فجاء الشِّعر العاميّ (بفرعيه البدويّ والفلّاحيّ) ليكون الأداة التي يُعبّر بها كلُّ قوم عن أنفسهم فخراً وهجاءً ومدحاً ورثاءً ...إلخ. فكل

---

[1]- تتبعْ على سبيل المثال تواريخ وفاة الأعلام المنسوبين إلى الديار الأردنية وستجد أن أغلبهم عاش ونبغ في العهد المملوكي، انظر على سبيل المثال في كتاب: حنا حداد، ونعمان جبران، **معجم المنسوبين إلى الديار الأردنية** (في المصادر التراثية سكناً أو مولداً أو وفاة)، عمّان: وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة الأردنية 2015م.

عشيرة أو قرية أو بلدة أو قبيلة لها شاعرها الذي ينطق بلسانها ويصوغ رسائلها إلى المناطق الأخرى في السلم والحرب؛ فهذه المجتمعات المصغّرة حينما تريد أن تُهدّد أو تعرض الصلح أو تُعلن الحرب أو ترد على هجاء أو تفتخر على الآخرين تلجأ دائماً إلى الشّاعر.

ولتَصوُّر الوظيفة الإعلاميّة التي كان يؤدّيها الشّعرُ، ينبغي لنا استعادة الدّور الذي لعبه الشّعر العربيّ الفصيح في تاريخ القبائل العربية في العصرين الجاهلي والأموي حيثُ انتعش نمط الحياة القبليّ، وإن كان الشّعر في الجاهلية -وكذلك في العصر الأموي- سجلَ معارفِ النّاس ومرآة حياتهم وتاريخهم فإنّه كذلك بالنّسبة لأهالي شرقي الأردن في العهد العثمانيّ. ففي ظل غياب الكتابة كان النّاس يؤرخون الأحداث التي تمر بهم وأحزانهم وأفراحهم شعراً، فإذا أردتَ أن تعرف معارفهم ومعتقداتهم وتاريخهم وعاداتهم فعليك العودة إلى أشعارهم، كما عاد النقّاد العرب القدماء – كالجاحظ وابن قتيبة- إلى شعراء الجاهليّة وبني أميّة.

بيد أنَّ هذه الأشعار تعرّض كثيرُها للضّياع والنّسيان، ولم يصلنا إلّا المشهور منها وما دوّنه البحّاثة والمؤلّفون بعد قيام الدولة الأردنيّة. وقد لاحظ الأرشمنديت بولس سلمان الشّبه بين هذه الأشعار وأشعار الجاهليين، حينما زار المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى وأقام فيها خمسة أعوام؛ يقول: "ومما لا شك فيه أن أرباب الخيم الحاليين ما زالوا على عهد جاهليتهم وبداوتهم، وهم بالرغم من الأجيال المتعدّدة التي طووها، على ما كانوا عليه منذ عشرين عصراً، حتى أن شعرهم ليقرب نوعاً ما إلى الشعر الغابر، من حيث المعاني والأوزان... فالمطالع ينتقل ببرهة قصيرة إلى عهد امرئ القيس وزهير والأعشى، ومن ضارعهم من فحول الشعراء" (سلمان 2011: 16 - 17).

أمّا عن كثرة استعمال الشّعر في المنطقة فيقول: "وشعر العرب الحاليين وافر جداً لتوفّر ملكته عندهم واستحكامها فيهم، فإذا جرى لهم حادث ذو شأن أثّر في محفوظهم وعقولهم ذكروه في أشعارهم فخلّدوا آثاره وأحيوا تذكاره على تمادي الزّمان" (سلمان 2011: 30). ويذكر أسباب هذه الكثرة: "فمنها أنّ العرب (يقصد أهالي شرقي الأردن) قبائل شتّى مستقلّة بعضها عن بعض في الأحكام والأملاك مشتركة الحاجات في المعاش فلذلك كثر فيهم النّزاع وجبّ الحروب فنشأ فيهم أناس أثّرت فيهم تلك الحالة فأخذوا يصفون ما يتعهدونه بعيونهم"(سلمان 2011: 31).

فنجد الشّاعر إبراهيم الشّلول -على سبيل المثال- المعروف بالدّوقرانيّ (ت1927م) – وهو من أشهر شعراء الشّمال- يقول القصائد في شتى المواضيع والمناسبات؛ فقد حدث أن لجأ عدد من رجال عشيرة العبيدات وشيخهم عزّام الجبر إلى قريتي "دوقرة" و"ملكا"، وذلك هرباً من الدّولة العثمانيّة، فحدث أن قبض الدّرك العثمانيّ على الرجال الذين لجأوا إلى قرية "ملكا" نتيجة وشاية على ما يبدو (الشّلول 1985: 53 - 54). فقالَ الشاعر قصيدة بهذه المناسبة يُعاتب فيها أبناء قرية "ملكا" بعد أن أثنى عليهم بما هو معروف عنهم من نخوة وكرم (الشّلول 1985: 54):

لا نَشَدُونك عَنّي اني قُولْ زَعْلانْ زَعْلان انا مِن قُولْ قِيلٍ وقايلْ
عِلمي بِكمْ سُورٍ ذَرَى كُل بردانْ سُورٍ بِعَذّي الجارْ هو والنَّزايلْ
كيفْ التُّرك ساقونْ مِفلِحْ وجروانْ مِن دُوركُوا يا مْعذْبِينَ الدَّخايلْ
جُوكُوا صباحْ وقَرّنوا الزُّلم بأقرانْ خَزُّوهم خَز الِجْمالْ الشَّخايل

وحينما وقعت الحرابة بين فلّاحي الرمثا وحوران بقيادة الشيخ فوّاز الزّعبي من جهة وبين عدد من القبائل البدوية بقيادة بني صخر من جهة أخرى، وهي الحرب التي انتهت بانتصار الفلّاحين إبّان العهد الفيصلي، قال قصيدته المشهورة باسم "قصيدة البدو والفلّاحين" التي يقول في مطلعها (الشّلول 1985: 62):

حُوران صارتْ غولةٍ مسعورهْ حوتة بحرْ تاكلْ وما تِنْكالِيْ
شَرَّهْ على قومٍ تريد اشرورهْ شوك العطب بركانها وذياليْ

وفي الوقت نفسه الذي يقول الشّاعر قصائد في المواضيع السياسيّة والخطيرة التي يُعبّر فيها عن طبيعة الحياة في أواخر العهد العثمانيّ وأوضاع الناس الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة، نجده يقول قصائد في مواضيع يومية وهامشيّة، فيقول قصيدة في رثاء زوجته الثّانية، منها (الشّلول 1985: 50):

يا مْهِيرتي ما بِكْ خِصايل رِديّهْ يا مِنوتي لا صاحْ صايحْ هَل الخِيل

كما نجد في أشعاره قصيدة في هجاء زوجته الثالثة التي تزوّجها في شيخوخته، يقول فيها(الشّلول 1985: 128):

اللهْ بلاني يا علي بُمْ كشّوزْ مَشْيَهْ خفيفْ ومَعْصَبَهْ شَنكلاوي

وله قصيدة في هجاء كنّاته (أي زوجات أبنائه) ووصف حاله معهن بعد وفاة زوجته (الشّلول 1985: 78 - 80)، وله قصيدة فكاهية على هيئة حوار بينه وبين حصانه(الشّلول 1985: 73)، وله قصائد كثيرة في المديح والاعتذار وفي وصف أحوال الناس ومعاناتهم في ظل الحكم العثماني(انظر على سبيل المثال: الشّلول 1985: 35، 38، 107، 115). فهذه القصائد تُعطينا تصوراً عن تاريخ الناس وحروبهم ومعاناتهم، كما تُعطينا تصوّراً عن حياتهم اليومية البسيطة، فيقول قصيدة بعنوان "قصيدة هدلان وخنخون" يرثي فيها أبقار القرية التي ماتت بسبب مرض أصاب الأبقار عام 1865م(الشّلول 1985: 157 - 159).

كما يُصوّر لنا مشاعر النّاس تجاه الدّولة العثمانيّة، فرجالاتها يظلمون النّاس ويعاملونهم بقسوة من جهة، ولكن النّاس كانوا متعاطفين معها في الحرب العالميّة الأولى على الرغم من ذلك من جهة أخرى. فالشّاعر يوضّح في قصيدة واحدة الظّلم الذي أوقعه الأتراك في الناس وفي الوقت نفسه يدعو الله أن ينصر الدّولة العثمانيّة على الإنجليز (الشّلول 1985: 33 - 34):

سالْ دمعي فوقْ وجناتي ذريفْ عابلاد العز ما مثلها ابلاذْ
اسمها حوران ملجا للضّعيفْ دارْ خيرْ ودارْ شُومات وحْشَادْ
حِيفْ يا حوران حيفْ ثُمْ حِيفْ يا تكيةِ الضّيف يا دار الأجوادْ
نَوَخُوكِ التُّرك تنويخ العسيفْ شَيَّلوكِ احْمالْ من غُبن ونْكادْ

ثم يقول في موقع آخر من القصيدة نفسها:

يا إله العرشْ كُنْ لنا سعيفْ وانصرْ الإسلام ع الكُفرْ العنادْ
أيدوا السلطان مولانا الخليفْ من بعدْ عبد الحميدْ ومن مرادْ

ثم يستنجد أبناء العرب ويحثُّهم على نصرة الخليفة:

انجدوا الصاحبْ وعيون الوليفْ كلكم ع الضّد صيرون اتّحادْ

والشّاعر لسانُ قومه وقبيلته؛ فالشّاعر الدّوقرانيّ حينما قالَ قصيدة البدو والفلّاحين قالها بتكليف من زعامات الرّمثا وحوران (شمالي الأردن) (الشّلول 1985: 60)، وحينما قالَ قصيدة الحرب العالمية الأولى كان يُعبّر عن الرأي العام للنّاس؛ فهم يكرهون العثمانيين لكنهم يرفضون الاستعمار ويكرهونه أكثر. وهذا هو حال الشُّعراء في تلك الفترة؛ فالشِّعر هو الجهاز الإعلاميّ الذي ينطق بلسان القبيلة أو التّحالف، فحينما وقعت معركة "الطَّور" بين قبيلتي بني صخر والحويطات، نظمَ شاعرُ كلّ قبيلة قصيدةً يفتخر فيها بقبيلته وفعلها في المعركة ويعبّر عن موقفها. وسُمّيت كلُّ قصيدة باسم قبيلة الشاعر، فلدينا قصيدة "بني صخر" وقصيدة "الحويطات"، ولهذه التسمية دلالتها فهي تشير إلى شدّة التحام كلّ قبيلة بالقصيدة الخاصة بها، حتى أنّنا أضعنا اسمي الشَّاعرين اللّذين قالاهما، وهما من القصائد التي تُغنّى في حفلات السّامر والأعراس إلى يومنا هذا (العزيزي 2012 ج4: 59 - 63).

وإن تأمّلنا مثل هذه القصائد، نجد فيها تشابهاً كبيراً مع قصائد الفخر العربية القديمة التي كان يقولها شعراء القبائل، فقصيدة الحويطات تفتخر بفعل فارس القبيلة "عودة أبو تايه" (العزيزي 2012 ج4: 63):

يا (عوده) شِربْ فنجانه، ويا (عمشا) قولي اهنيَّالَه
إبْعزّ او ناموس ارجَالَه، أَلدِّيرة (عَودِه) عَذَّاها

ومن قصيدة بني صخر نجد وصفاً للمعركة (العزيزي 1983 ج3: 187):

أشُوفْ الخيل تلاقي الخيلْ كِنْ صارت ظلما مِثلَ الليلْ
إهنيَّال الْرَبُّه يآتي لَهْ

أمّا فيما يتعلّق بالقواعد والقوانين والأخلاقيات التي تحكم حياة الناس وخلاصة تجاربهم، فقد صاغوها في جمل شفاهيّة قصيرة على شكل أمثال وحكم؛ فهم يقولون:

- "من أمنّك لا تخونه ولو كنت خوّان"، وذلك في ضرورة حفظ الأمانة (أبو حسّان 2009: 96).
- "غيّبْ غيّبْ وإن وقعت كون طيّب"، في ضرورة عدم الحرص والاقتصاد في مواضع الكرم والجود (أبو حسّان 2009: 96).
- "ثلثين الولد لخاله" و"العرق دسّاس"، في ضرورة انتقاء النسب واختيار الأم المناسبة لأبناء المستقبل (أبو حسّان 2009: 96).
- "اللي يفرش فراش يقعد عليه"، في المعاملة بالمثل وأن من يتصرّف تصرّفاً عليه أن ينتظر تصرفاً مماثلاً في المقابل (أبو حسّان 2009: 96).
- "ما يموت حق وراءه مطالب "، أي أن الحق لا يسقط بتقادم الزّمن (أبو حسّان 2009: 97)، وهذا يتعارض مع قوانين الدّولة الحديثة التي تُسقط العقوبات عن مرتكبيها مع تقادم الزّمن.
- "الحق بالقوة والعاجز يدوّر شهود " (أبو حسّان 2009: 93)، وهي قاعدة شديدة الأهمية بالنسبة لأهالي المنطقة في فترة الدّراسة، إذ توضّح دور منطق القوّة في أخذ الحقوق.
- "المجالس هي المدارس" و "الكبار دفاتر الصغار" (أبو حسّان 2009: 91)، فالمعارف والقوانين والعادات تنتقل للإنسان شفاهةً من الأجداد إلى الآباء ومن الآباء إلى الأبناء وهكذا دواليك.
- كما أنّ هذا الإنسان خزّنَ معلوماته العلمية والاقتصادية والزّراعية والرّعوية في جمل قصيرة كذلك، فنجد الأهالي يقولون: "شمسة اللّوز تخلي الصّبية عجوز" في إشارة إلى التّأثير السّلبي للشّمس على لون البشرة في شهر آذار. ووصفوا هذا الشّهر المتقلّب بين البرد والحر فقالوا: "آذار الغدّار".

وهكذا، نجد أنّ إنسان هذه المنطقة تحكمه الأنماط الشفوية؛ فمن خلالها استطاع أن يُخزّن معارفه وتجاربه، وأصبحت هذه الأنماط في خدمة

النّظام العشائريّ القائم، وينبغي لمن يريد أن يتعامل مع هذا النظام إمّا أن يتماهى معه أو أن يحطِّمه باستخدام أنماط لغويّة جديدة وفرضها على الأهالي. وإذا استدعينا مستخدمي الأنماط اللّغويّة المغايرة في العهد العثماني مثل الكتاتيب سنجد أنّهم عدّلوا مفاهيمها ومعارفها لتنسجم مع مفاهيم الأهالي ومعارفهم؛ فالعلوم والمعارف التي كانت تُدرَّس في الكتاتيب لا تتناقض مع معارف الناس ومعتقداتهم وعاداتهم. فشيوخ الكتاتيب على سبيل المثال كانوا يعلّمون الأولادَ أنّ الأرض مسطحة (غير كروية) وأنّها ترتكز على قرن ثور، وبذلك يُفسّرون الزّلازل إذ إنّ الثَّور يكون قد تعبَ وأراد أن يرتاح فينقل الأرض إلى القرن الآخر(قطامي 2009: 31). أمّا ظاهرتا البرق والرّعد، فهما من فعل ملك الغيوم الذي يجلد الغيوم بالسّوط، فتبكي وينهمر المطر، والبرق ينشأ من شرر قدح السوط أمّا الرعد فهو من صدى صوته (قطامي 2009: 31).

وهي معارف تنسجم مع طبيعة التّفكير الشّعبيّ- الشّفويّ السّائد، ويُعزّز من قوّة المعتقدات المختزنة في الأنماط اللّغويّة السّائدة؛ فمن مهام شيخ الكُتّاب كتابة الحُجب والحماية من الأسحار وطرد الأرواح الشريرة دون التّدخُّل في نمط حياة النّاس وتغييره.

أمّا أمور الملكية وحفظ الممتلكات فإنّها تعتمد في الدّرجة الأولى على القوّة، فالأراضي والأملاك والمواشي التي لا تستطيع القرية أو العشيرة أو القبيلة حمايتها تُؤخذ منها عنوة وتُصبح ملكاً لغيرها (الأقوى). ونادراً ما كان الناس يوثّقون ممتلكاتهم وأراضيهم. كما أنّ الملكيات جماعية، فالأراضي والينابيع تعود ملكيتها للعشيرة أو القبيلة.

المحور الثّاني: الدّولة وسيادة الأنماط اللّغويّة الجديدة

في نهايات القرن التّاسع عشر، قرّرت الدّولة العثمانيّة أن تُغيّر سياستها تجاه شرقي الأردن بعد أن فقدت السّيطرة على مصر وطريق الحجّ المصريّ، فشعرت بالخطر على طريق الحجّ الشّاميّ؛ فأصدر السّلطان عبد الحميد فرماناً خاصاً بتأسيس ولاية عمّان أو الولاية الحميديّة (أبو ديّة 1998: 21). يتضمّن الفرمان مجموعة من الإجراءات التي تحقَّق بعضها وفشلت الدولة في تحقيق البعض الآخر (مثل تأسيس الولاية) بسبب ضعف الدّولة في تلك الفترة. غير أنّ هذا القرار كان له تأثيره في المنطقة وسيضع حجر الأساس لسيادة أنماط جديد من اللّغة والقوة.

لقد سعى الفرمان إلى تحقيق مجموعة من الأمور(أبو ديّة 1998: 21 - 26):

أولاً: فرض الأمن في المنطقة، وقد نجح العثمانيون في فرض سيطرتهم على المراكز الحضريّة وتعيين حاميات عثمانيّة دائمة في كلّ من عجلون والسّلط والكرك ومعان. كما نجحوا في إدارة هذه المناطق إدارة مركزيّة، وإن فشلوا في فرض الأمن والأمان على سائر المناطق.

ثانياً: تشجيع هجرة الشيشان والشركس إلى المناطق ذات العمق التاريخيّ وشبه المهجورة في ذلك الوقت (مثل جرش وعمّان والزرقاء)، وذلك بهدف إعادة تأهيل هذه المناطق وتحويلها إلى مراكز تستقطب الأهالي، وبذلك تستطيع الدولة تفتيت التحالفات وضرب الزعامات التقليدية.

ثالثاً: تشكيل مجالس بلديّة منتخبة في المراكز الحضريّة، وإدماج الأهالي في انتخابات المجالس البلديّة ومجلس الولاية ومجلس "المبعوثان".

رابعاً: تشجيع تأسيس مدارس ابتدائيّة ورشيديّة في البلاد.

خامساً: السّعي إلى التّوطين المرحلي للبدو، وذلك من خلال منحهم ملكية الأراضي مسجلة بسندات ملكية مختومة ومعتمدة من قبل الدولة. ومن خلال منعهم من غزو قرى الفلّاحين والحضر ومن غزو بعضهم بعضا. وقد نجحت الدّولة في تطبيق الجزء الأوّل، لكنها فشلت إلى حد كبير في منع الغزو والاقتتال (عبيدات 2021: 10).

لقد أدّت هذه الإجراءات إلى خلخلة البنى الفكرية والاجتماعية السائدة، كما أنّها فرضت على الأهالي أنماطاً لغويّة جديدة، ينبغي لهم التّعامل معها إلى جانب الأنماط الشفويّة. وسنتناول هذه التغييرات الطارئة ولكن بعد أن ننتقل إلى دور تأسيس الدولة الأردنية عام 1921م في إحداث تغييرات مكمّلة للتغييرات العثمانية، لكنها أكثر شمولاً وتأثيراً في النّاس.

فإن كانت الدّولة العثمانيّة قد فرضت التّعليم فإنّه تعليم باللّغة التركيّة، أمّا دّولة إمارة شرقي الأردن فقد ركّزت على اللّغة العربيّة بوصفها لغة التّعليم والدّولة. كما أنّ المنطقة كانت جزءاً صغيراً من أجزاء الدولة العثمانية، لكنها بالنسبة للدّولة الناشئة الكلُّ الذي تحكمه، الأمر الذي عزّز المركزيّة في إدارة المنطقة والتّعامل مع الأهالي. كما أنّ الدّولة خاضعة لتوجيه الإنجليز وإدارتهم بوصفهم أصحاب الانتداب (الاستعمار) على المنطقة، وهؤلاء مزودون بأحدث الأسلحة والخطط لفرض الأمن وإحداث التغيير اللازم بدرجة أكبر مما تستطيعه الدولة العثمانية.

ويمكن التّركيز على مجموعة من النقاط التي توضّح التغيّرات التي حدثت في المنطقة إثر قيام الدّولة:

أولاً: كان الأمير عبد الله شاعراً وأديباً يحب الشعر والشعراء ويكرمهم، كما كان ضليعاً في اللّغة العربيّة الفصيحة ويحب مناقشة المسائل اللّغويّة والنحويّة. كما جاء مع الأمير مجموعة من المثقفين والشّعراء والأدباء العرب الذين أنعشوا السّاحة الأدبيّة إلى جانب الشّعراء الأردنيين الذين تعلَّموا في أواخر العهد العثمانيّ مثل الشّاعر مصطفى وهبي التل (عرار) (قطامي 2009: 34 -44). ولقد أسّس مجلساً أدبياً جمع فيه الأدباء والشّعراء والفقهاء، وكان كثيراً ما يُجزل العطاء لهذه الفئة (قطامي 2009: 34)، الأمر الذي رفع من قيمة الشّعر الفصيح وأعاده إلى واجهة الجهاز الإعلاميّ في المنطقة، وفي المقابل أضعف الحضور الإعلاميّ للشّعر العاميّ.

ثانياً: تأسيس المدارس على نطاق واسع وانتشار التّعليم، وتأسيس مدرسة السّلط الثّانويّة التي خرّجت أغلب القيادات الجديدة للمنطقة، وابتعاث

الطلبة لإكمال دراساتهم في الخارج.

ثالثاً: نجاح الإنجليز في فرض الأمن وإيقاف الغزو والاقتتال الداخلي.

رابعاً: تفعيل دور دائرة الأراضي وتسجيل الأراضي بأسماء أصحابها، إذ أصبح امتلاك سند ملكية الأرض هو الطريق الوحيدة للسيطرة على الأرض.

خامساً: تطبيق القوانين المدنية في حل الخلافات بين الأهالي من خلال إصدار القانون الأساسي الذي حلَّ الدّستور الأردني محلّه في وقت لاحق.

المحور الثالث: الصراع والتحوّلات

لقد أدّت التغيّرات والتحوّلات الجديدة إلى بروز دور الأنماط الكتابيّة وتأثيرها في حياة الأهالي في مقابل تراجع دور الأنماط الشفويّة، غير أنّ هذا الأمر لم يتم في ليلة وضحاها، بل أخذ وقتا طويلاً امتدّ من أواخر العهد العثمانيّ إلى أربعينات القرن العشرين. وسنتناول أبرز أوجه هذه التغيّرات والتحوّلات محاولين رسم صورة الصّراع اللّغويّ الذي نشب بين الأنماط التّقليديّة (الشّفويّة) والأنماط الجديدة (الكتابيّة) في نقاط متعددة:

أولاً: انتقال آلية ملكيّة الأرض من الاعتماد على القوّة والرّجال في الحفاظ عليها إلى الوثائق المكتوبة التي تثبت الملكيّة والمحميّة باعتراف الدّولة. وقد حاول كثير من الزّعامات المحليّة مواجهة هذا التحوّل في طريقة إثبات الملكيّة؛ فيروى أنّ الشيخ مثقال الفايز -حينما كان شاباً صغيراً- أُجبر من قبل إخوته الكبار على بيع قطعة أرض كبيرة، فوضع بصمته على سند الملكيّة. غير أنّه حينما كبر واستلم مشيخة قبيلة بني صخر عاد للمطالبة بحصته من الممالك الجديد الذي رفض الأمر، فاحتدم الخلاف بينهما، فتدخّل الوجهاء والوسطاء لحل هذا الخلاف الذي انتهى بدفع المالك تعويضاً جديداً للشيخ مثقال عن الأرض (البخيت والعرموطي 2009: 89).

وإن كان هذا الخلاف حُلَّ بطريقة وسطى بين آلية الملكية القديمة (القوّة) وبين الآلية الجديدة (الوثائق)، فإنّ الأمور اختلفت بعد استتباب الأمن وفرض سيادة الدولة؛ فيروى -على سبيل المثال- أنّ قبيلة بدوية وضعت يدها على مناطق زراعية تعود ملكيتها إلى عشائر بلدة "سُوف" في جرش، فما كان من رجال هذه البلدة إلّا أن أخذوا في الاستعداد للقتال واستعادة الأرض وفق الآليّة القديمة (القوّة). غير أنّ زعيم المنطقة علي باشا الكايد رفض السماح لهم بالقتال وأخبرهم أنّ الأمور تغيّرت ولم تعد كما كانت، وطلب منهم الانتظار حتى يحين موعد الحصاد ووعدهم بأن يجعل أبناء هذه القبيلة ينقلون المحصول على دوابهم. وبالفعل، حينما حان موعد الحصاد ذهب الباشا إلى الإنجليز حاملاً معه سندات الملكيّة، فأجبر الإنجليز هذه القبيلة على إعادة الأراضي إلى أصحابها وتسليمهم المحصول (العتوم 1992:: 107 - 108).

ثانياً: ارتباط الوظائف والمناصب في الدّولة بالكتابة (التّعليم)، فبعد أن كانت الزّعامة والقيادة تعتمد على قوّة الزعيم وذكائه وفطنته، أصبح التّعليم -إضافة إلى ما سبق- هو الفيصل في تقديم شخص على آخر، فقد استطاع علي باشا الكايد أن يستفرِد بزعامة ناحية المعراض (محافظة جرش الآن) ويُقصي أخاه الكبير عبد العزيز بسبب التّعليم، لأنّ الأوّل كان أمياً (العتوم 1992: 113 - 115). كما أن الشّيخ قدر المجالي فاز في انتخابات مجلس "المبعوثان" التي جرت إبّان العهد العثمانيّ، ولكنه أُستثني وأُعيد إجراء الانتخابات، لأنّه أُميّ لا يقرأ ولا يكتب، ففاز ابن عشيرته المتعلِّم توفيق المجالي (القسوس 2006: 44 - 45).

وقد تنبّه الزعماء والشيوخ باكراً لأهميّة التّعليم في تغيير خريطة القوى في المستقبل، فأرسلوا أبناءهم إلى المدارس والمعاهد، وحاولوا قدر المستطاع تأخير وصول التّعليم إلى القرى والعشائر التّابعة لهم (ربيع 19 April 2020). فيروى عن أحد زعامات الشّمال في الأردن قوله عن خطر التّعليم على نفوذه: "إذا الفلّاحين تعلموا ما رح حدا يقدر يمون عليهم" (ربيع 19 April 2020). ويُروى عن كليب الشريدة (زعيم ناحية الكورة) أنّه زار مدرسة إربد ليسأل عن أحد أبنائه، وأثناء زيارته للقاعة الصفيّة أراد أن يتعرّف على أبناء الشيوخ والزّعامات الذين يزاملون ابنه، فتفاجأ بوجود أحد الطّلّاب من أبناء الفلّاحين التابعين له، فطرده من المدرسة، غير أن والده كان عنيداً وأصر على تعليمه متحدياً كلّ العقبات التي وضعت أمامه. وكان كليب ووالد الطالب على وعي بخطر التّعليم في قلب موازين القوى، فهذا الطّالب سيصبح مسؤولاً في الدّولة وسيستلم عدّة مناصب مهمّة من بينها وزارة الداخلية (ربيع 19 April 2020).

وحينما أراد الأمير أن يبني مدرسة ثانوية[2] في بلدة (سُوف)، أعلن زعيم المنطقة علي باشا الكايد ترحيبه وموافقته على بنائها، "وبالفعل تم إحضار الحجارة المخصصة لإعمار المدرسة وكان العمل على وشك البدء؛ غير أن الباشا عرف كيف يثير غضب منافسيه داخل العشيرة الذين أثاروا النّاس بحجّة أن المدرسة سوف تستقطب الغرباء إلى البلدة، الأمر الذي يسيء إلى سمعة البلدة وبناتها. وقام الأهالي بإعلان رفضهم وتمرّدهم، فما كان من الباشا إلا أن انصاع لهم وأبلغ الأمير برغبتهم؛ فتم نقل المدرسة إلى منطقة أخرى، بينما استخدم الباشا حجارة المدرسة في بناء سور لقصره" (ربيع 19 April 2020).

ثالثاً: مجالس الأمير الأدبية وإنشاء الصحف والمجلات: لقد كان الأمير عبد الله أميراً كلاسيكياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فمجلسه الأدبيّ الذي باشرَ افتتاحه منذ الأيام الأولى لوصوله عمّان يُشبه مجالس الأمراء والخلفاء في العصور السّابقة؛ فالشُّعراء يتناظرون ويتناكفون ويقولون الأشعار

[2]- كانت المدارس الثانوية لها قيمة كبيرة في ذلك الوقت تعادل قيمة الجامعات الآن، وكان خريجوها يحصلون على الوظائف والمناصب المتقدمة.

باللّغة العربيّة الفصيحة في شتى المواضيع، ويجلس الأمير والنقّاد كي يفاضلوا بين القصائد وينقدوها. وهي قصائد تقليدية بحتة تُحاكي وتُقلد الشعر العربي القديم في مواضيعه وأغراضه، وإن كان شعر المديح هو سيّد هذه الجلسات (انظر: قطامي 2009: 34 -44).

وجاءت الصّحف المجلّات لتشكّل ديواناً يستوعب الجديد من الأشعار الفصيحة والمعارك والسجالات الشّعريّة والنّقديّة (قطامي 2009: 48 - 56). كما أنّ المهمة الرئيسة لهذه الصّحف والمجلّات هي نقل الأخبار وتأدية الوظيفة الإعلاميّة من تحشيد النّاس وتعبئة الرأي العام، وهي الوظيفة التي كان يؤدّيها الشِّعر العاميّ في المنطقة. وهكذا، نجد أنّ البساط سُحب من تحت الأنماط التّقليديّة (الشّفويّة) لصالح الأنماط الجديدة (الكتابيّة).

رابعاً: لقد حلّت القوانين المدنيّة وسلطة الدّولة ومخافرها محلَّ القواعد العشائريّة وسلطة الزّعامات وقوة العشيرة والقبيلة، فانتقلت القواعد العشائريّة التي كانت تحكم حياة الناس لتكون تراثاً يحتفون به دون أن يكونوا ملزمين بها في حياتهم اليوميّة. وحلّت نصوص القوانين والدّستور (المكتوبة) محلَّ النّصوص العشائريّة (المحفوظة)، فأصبحت أساس الاحتكام في حلِّ الخصومات والخلافات بين النّاس.

خاتمة

لقد أبرز البحث طبيعة الصّراع الذي وقعَ بين الأشكال الشّفويّة التي تمثّل أهالي شرقي الأردن وأعرافهم وتقاليدهم، وبين مؤسّسة الكتابة التي تمثّل الدّولة والسّلطة الجديدتين، وكيف أخذت الأنماط التواصلية التي أنتجتها مؤسّسة الكتابة تفرض سيطرتها في الحضور اليوميّ والرسميّ عند الأهالي، وقضت بشكل تدريجيّ على حضور الأشكال الشّفويّة على المستوى الرسميّ. كما أبرز ارتباط حضور اللّغة العربيّة الفصيحة بحضور الدّولة؛ فالأنماط الشّفويّة (الشِّعر الشّعبيّ والأمثال والرّسائل الكلاميّة المكثّفة والمحمّلة بالدّلالات) كانت هي الشّكل السّائد والمعترف به في أغلب أنماط التّواصل الحاصل بين العشائر والقبائل والحواضر الأردنيّة في فترة غياب الدّولة، وفي المقابل كان حضور اللّغة العربيّة الفصيحة (لغة الكتابة) حضوراً ضعيفاً في تلك الفترة.

ولكن حينما قويَ حضور الدّولة الحديثة في حياة الأردنيين، بدأ حضور العربيّة الفصيحة -لغة الكتابة- يأخذ مكانة أوسع منذ أواخر العهد العثمانيّ وحتى قيام الدّولة الأردنيّة وتثبيت جذورها في القرن العشرين. وأدّت السّياسات اللّغويّة الجديدة – على رأسها مؤسّسة الكتابة- دوراً كبيراً في تثبيت سلطة الدّولة الحديثة عبر توثيق العقود والملكيات وإنشاء السّجلات المدنيّة من ناحية، وعبر قيام مؤسّسة الكتابة بإعادة تخيّل ناظمة للمكان وأهله ضمن سرديّة الدّولة النّاشئة، وذلك من خلال تعزيز دور المدارس والصّحافة والإذاعة، ومن خلال كتابة تاريخ منفصل للمنطقة.

المصادروالمراجع

إتشن، جين (2016)، *اللسانيات مقدمة إلى المقدمات*، ترجمة: عبدالكريم محمد جبل، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

البخيت، عوّاد، والعرموطي، عمر (2009)، *الشيخ مثقال الفايز شيخ مشايخ بني صخر*، عمّان: مطبعة السفير.

بيل، آلان (2019)، الدليل إلى اللسانيات الاجتماعية، ترجمة: متيم الضايع، اللاذقية: دار الحوار.

حداد، حنا، و جبران، نعمان (2015)، *معجم المنسوبين إلى الديار الأردنية* (في المصادر التراثية سكناً أو مولداً أو وفاة)، عمّان: وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة الأردنية .

أبو حسّان، محمد (2009)، *تراث البدو القضائي نظريا وعمليا*، عمّان: وزارة الثقافة الأردنية، مكتبة الأسرة، ط4.

خريسات، محمد (2019)، *القبائل العربية على الأرض الأردنية*، عمّان: دار ورد.

أبو ديّة، سعد (1998)، *صفحات مطوية من تاريخ الأردن:* حوادث ومواضيع متفرقة من تاريخ الأردن في القرن الماضي والحاضر، عمّان: دار البشير ومؤسسة الرسالة.

ربيع، ربيع محمود (19 April 2020)، كيف قضى التعليم على نفوذ الزعامات المحلية في الأردن؟، *موقع عربي 21*، مقال إلكتروني نشر في 19-4 – 2020م.

سلمان، بولس (2011)، *خمسة أعوام في شرقي الأردن: (أبحاث أخلاقية، أدبية، قضائية، دينية)*، عمّان: وزارة الثقافة مكتبة الأسرة الأردنية.

الشلول، إبراهيم عبد الرزّاق (1985)، *ديوان الشاعر الدوقراني*، جمع وتحقيق وإعداد: أحمد الشاعر الدوقراني، عمّان: جمعية المطابع التعاونية.

عبد التوّاب، رمضان (1997)، *المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي*، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3.

عبيدات، ميسون (2021)، *التطوّر السياسي لشرق الأردن في عهد الإمارة (1921- 1946)*، عمّان: وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة الأردنية.

العتوم، خضر (1992)، الزّعامة الاجتماعية السياسية في سوف- محافظة جرش: أنماطها وعناصرها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إشراف: محمد الشنّاق، 1992م.

العزيزي، روكس بن زائد (1983)، *معلمة للتراث الأردني*، ج3، عمّان: منشورات وزارة السياحة والآثار.

_____ (2012)، *معلمة للتراث الأردني*، ج4، عمّان: وزارة الثقافة، سلسلة كتاب الشهر، العدد 158.

_____ (1997)، *نمر العدوان شاعر الحب والوفاء: حياته وشعره*، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ط2.

غوانمة، يوسف حسن (2015)، *التاريخ السياسي للأردن في عصر دولة المماليك الأولى*، عمّان: وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة الأردنية.
القسوس، عودة (2006)، *مذكّرات عودة سلمان القسوس الهلسا (1877-1937)*، تحقيق وشرح: نايف القسوس وغسّان الشوارب، د.ن.
قطامي، سمير (2009)، *الحركة الأدبية في شرقي الأردن منذ عام 1921 حتى عام 1948*، عمّان: وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة الأردنية.
الماضي، منيب، والموسى، سليمان (1988)، *تاريخ الأردن في القرن العشرين (1900-1959)*، عمّان: مكتبة المحتسب، ط2.
الموسى، سليمان (2010)، *عمّان عاصمة الأردن*، ط4، عمّان: دار ورد.

References

Jean Aitchison, Introduction to introductions to linguistics (2016). Translated by Abdelkareem Mohamed Gabal, Cairo: National Center for Translation.

Al-Bakhit, Awad, and Al-Armouti, Omar (2009), Sheikh Mithqal Al-Fayez, Sheikh of the Sheikhs of Bani Sakhr, Amman: Al-Safeer Press.

Bell, Alan (2019), The Guidebook to Sociolinguistics, translated by: Mutayem Al-Dhaye', Latakia: Dar Al-Hiwar.

Haddad, Hanna, and Jubran, Numan (2015), Dictionary of People Associated with Jordan (as recorded in heritage sources by: residence, birth, or death), Amman: Ministry of Culture, Jordanian Family Library.

Abu Hassan, Muhammad (2009), Bedouin Customary Law: Theory and Practice, Amman: Jordanian Ministry of Culture, Family Library, 4th ed.

Kharisat, Muhammad (2019), Arab Tribes in Jordan, Amman: Dar Ward.

Abu Dayyeh, Saad (1998), Overlooked Phases in the History of Jordan: Miscellaneous Incidents and Topics from the History of Jordan in the Past and Present Centuries, Amman: Dar Al-Basheer and Al-Risalah Foundation.

Rabee, Rabee Mahmoud (April 19, 2020), How education eliminated the influence of local leaders in Jordan. Arabi 21 website, an electronic article published on 4/19/2020.

Salman, Boulus (2011), Five Years in Trans- Jordan: (Ethical, Literary, Judicial, and Religious Studies), Amman: Ministry of Culture, Jordanian Family Library.

Al-Shalloul, Ibrahim Abd al-Razzaq (1985), The Poetry Book of Ad Duqrani, compiled, edited and prepared by Ahmad al-Shair al-Duqrani, Amman: Cooperative Printing Presses Association.

Abd al-Tawwab, Ramadan (1997), Introduction to Linguistics and Linguistic Research Methods, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd edition.

Obaidat, Maysoun (2021), The Political Development of Transjordan in the Emirate Phase (1921-1946), Amman: Ministry of Culture, Jordanian Family Library.

Al-Atoum, Khader (1992), Socio-Political Leadership in Souf - Jerash Governorate: Its Patterns and Elements, Unpublished Master's Thesis, Yarmouk University, Supervised by: Muhammad Al-Shannaq, 1992.

Al 'Uzayzī Rūkus ibn Zā'id (1983), A Guide to Jordanian Heritage, Vol. 3, Amman: Publications of the Ministry of Tourism and Antiquities.

Al 'Uzayzī Rūkus ibn Zā'id (2012), A Guide to Jordanian Heritage, Vol. 4, Amman: Ministry of Culture, Book of the Month Series, No. 158.

Al 'Uzayzī Rūkus ibn Zā'id (1997), Nimr Al-Adwan, Poet of Love and Loyalty: His Life and Poetry, Kuwait: Al-Rabeean Publishing and Distribution Company, 2nd Edition.

Ghawanmeh, Yousef Hassan (2015), The Political History of Jordan in the Era of the First Mamluk State, Amman: Ministry of Culture, Jordanian Family Library.

Al-Qassous, Awda (2006), Memoirs of Awda Salman Al-Qassous Al-Halsa (1877-1937), edited and annotated by: Nayef Al-Qassous and Ghassan Al-Shawarb.

Qatami, Samir (2009), The Literary Movement in Transjordan from 1921 to 1948, Amman: Ministry of Culture, Jordanian Family Library.

Al-Madi, Munib, and Al-Mousa, Suleiman (1988), The History of Jordan in the Twentieth Century (1900-1959), Amman: Al-Muhtasib Library, 2nd ed.

Al-Mousa, Suleiman (2010), Amman, The Capital of Jordan, 4th ed., Amman: Dar Ward.